مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

الاقتباس القرآني في النَّص الدِّيوانيّ العثمانيِّ

الدكتور علي حيدر *
عماد الدّين محمد حسن **

(تاريخ الإيداع 12 / 2 / 2014. قبل للنشر في 7 / 8 / 2014)

□ ملخّص □

يعرَّف النّثر الدّيوانيّ، بأنّه مجموعةٌ من الأوامر والرّسائل السّلطانيّة والبشارات والعهود، والتّواقيع وغيرها، ممّا كان يصدر عن ديوان الإنشاء باسم السّلطان، وهو على أهمّيّة بالغةٍ، تكمن في رصد الإشارات الثّقافيّة والاجتماعيّة، والمرجعيّات الدّينيّة، التي تمّ اختزالها ضمن إطار لغةٍ نثريَّة مميّزةٍ.

وفي كل نص ديواني تحصل عمليّة تفاعل لغوي، بين النّسيج اللّغويّ النّصي والبنيات اللّغويّة الوافدة إليه من القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة، وتتشكل تبعا لذلك مستويات لغوية متباينة تخلقها هذه العمليّة التّفاعليّة .

الكلمات المفتاحيّة: نثر، اقتباس ، ديواني ، قرآني

* أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
** طالب دراسات عليا (ماجستير) – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

The Quranic Quotation in the Text Diwani Ottoman

Dr. Ali haider[*]
Aemad Hassan[**]

(Received 12 / 2 / 2014. Accepted 7 / 8 / 2014)

□ ABSTRACT □

Prose Diwani set of commands and messages Bowl Bisharat, covenants and signatures and other than it was issued by the Office of Construction as the Sultan, which is critical, is to monitor the signals of cultural, social and religious authorities, which have been reduced within the framework of the language of prose characteristic**.**

In the text you get all the process of the interaction of language, linguistic fabric between the text and the linguistic structures expatriate him from the Koran and the Sunnah, and are shaped accordingly varying levels of linguistic created this interactive process**.**

Key words: Prose, quotation, Diwani, Quranic,

[*]**Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
[**]**Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

الاقتباسُ مفهومٌ بلاغيٌ، يقوم على نقل أجزاءٍ من القرآن الكريم، أو الحديث الشّريف، أو الشعر والنثر، بغية تأكيد مقولةٍ يذهب إليها مستخدم اللّغة، ويشترط فيها أن يثبت النّص بحرفيّته مع التّلميح إلى مصدر النّص الأصليّ، كأن يقول مثلاً؛ كما جاء في القرآن الكريم أو كما قال عليه السّلام،"والاقتباس هو أن يضمن المتكلم كلامه بعضاً من آية أو آيةٌ من آيات كتاب الله خاصّة هذا هو الإجماع، وهو على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود"[1].

ويرتبط استخدام تقنيّة الاقتباس بمعرفة المرسل للكتاب المنقول منه، وإحاطته بمعنى النّصّ المنقول والإشارة إليه في حاشية الكلام.

ومع ظهور علم اللّغة الحديث أصبح ينظر إلى النّصوص المنقولة، على أنّها بنياتٌ منقولةٌ من نسيجٍ لغويٍ معطٍ، إلى نسيجٍ لغويٍّ جديدٍ، ويترتّب على مستخدم اللّغة معرفة مدى التّفاعل بين هذه البنيات اللّغويّة المنقولة، والوسط الّذي نقلت إليه، ومدى تأثيرها في النّصّ وتأثّرها به.

والنّصّ القرآنيّ يتّسم بطابع القداسة التي تجعله نصّاً لا يحتمل الاجتهاد، أي لا يحتمل التّحريف، أو المساس بوحدته الكليّة أو حتّى بأدقّ تفاصيله، وهذا ما يجعل عمليّة الاقتباس منه عمليّةً معقدةً ، لجهة خبرة المرسل وثقافة المتلقّي التي تتيح له الكشف عن هذه التجاوزات إن صحَّ القول هنا، الأمر الّذي قد يؤثر على العمليّة التّفاعليّة بين المتلقّي والنّص برمّتها، ولا سيما أنّ النّص الدّيوانيَّ هنا يُعدُّ بمثابة التّشريع أو القانون الواضح، والسّلطان هو المشرِّع الأوّل في أمور الرَّعيَّة، بوصفه خليفة الله في المسلمين.

لكنَّ التَّناقض الحاصل في عملية الاقتباس هنا، أنّ الكاتب الدّيواني يجب أن يتمتّع بثقافةٍ دينيَّةٍ، ينطلق بموجبها من نظرته للقرآن، ككتاب التَّشريع الأوّل لجمهور المسلمين، قبل أن يلجأ إلى الاقتباس منه أو الاستناد إليه، وهذا ما يجعل الأمر في غاية الدّقة، نتيجة التّناقض الحاصل بين النّصّ السّياسيّ والنّصّ الدّيني،"إذ لا بدّ للكاتب من حفظ كتاب الله تعالى، وإدامة قراءته وملازمة درسه، وتدبّر معانيه حتّى لا يزال مصوّراً في فكره، دائراً على لسانه ممثَّلاً في قلبه، ليكون ذاكراً له في كلامه وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد بها ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها فلله الحجة البالغة وكفى بذلك معينا له عن غيره "[2] إلاّ إذا كان القصد من عمليّة الاقتباس، جعل النّص الدّيني تابعاً للنّص السياسيّ أو تجميلاً وتلويناً له، أي تقريب النَّص السِّياسي من دائرة المشاهدة والعناية، وجعله تحت بؤرة الضَّوء .

أهميّة البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى تقصِّي الآثار النّاجمة عن حضور النّص الدّيني القرآنيّ، في المتن اللغويّ للنصّ الدّيوانيّ العثمانيّ، ومعرفة الدّور الذي تؤدّيه المقطوعات القرآنية في النّص الدّيواني، إذ يحضر النّص الدّينيّ لخدمة النص السّياسيّ ضمن المتن اللّغويّ، وينشأ تبعاً لذلك تّحريف متعمّد، يطال المقطوعات القرآنيّة لتحقيق مكاسب سياسيّةٍ بحتةٍ على مستوى الخطاب، ممثّلةٍ في سلب قوّة القرار وزمام المبادرة من المتلقّي، وحصره في دائرة الاستماع الصّامت.

---

[1] التّلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ، جلال الدين أبو عبدا لله محمد بن سعد الدّين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم . بيروت ، ط4ج1،ص 380ـ381 .

2. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، الجزء الأول، ص79.

كما يقوم الخطاب القرآني بدورٍ يتمثَّل في إضفاء طابع القداسة على مرسل الخطاب السّياسيّ، ويجعل النّص السّياسيّ دينيّاً في عمقه ليحقّق عمليّة الحسم، حسم المجابهة الفكريّة، التي يعقدها المرسل مع الآخر لصالح السّلطان، كطريقٍ ممهِّدٍ لحسم المعركة المادّيّة على أرض الواقع.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث معطيات المنهج الوصفيِّ في رصد الظّاهرة وحصرها ودراستها، وفي البحث يتم رصد ظاهرة الاقتباس وتحليل نتائجها وكيفية تأثيرها في المتن اللّغوي للنّص الدّيواني، لجهة دعم الفكرة وإقامة الحجّة والبرهان من طرف مرسل النّص الدّيوانيّ وهو السّلطان.

الاقتباس في النّصوص الدّيوانيّة:

تتواتر ضروب الاقتباس من آي القرآن الكريم ، متعالقةً مع الوحدات اللُّغويَّة الأخرى في النَّص الدِّيوانيِّ، وتتماهى مع النَّسيج اللُّغويّ الأصليّ للنَّص وتتمتّع بذات الخواصّ الّتي يتمتّع بها النّص السّياسي، ولكنّ هذا الاقتباس المتواتر من آي القرآن يخضع لعمليّة توجيهٍ، إذ لا بدّ من هدفٍ حقيقيٍّ، يكمن خلف استعمال مثل تلك البنيات، ومن هذه الأهداف؛ عقد هذه المواجهة بين الذّات المرسلة والآخر المتلقّي أو المرسل إليه، وهو الرّعيّة المحكومة على اختلاف مركزها الاجتماعيّ، في عمليّة تسفيل لهذا الاخر في مواجهة الذّات المرسلة، على امتداد ساحة النّص الدّيوانيّ وهو ما يبدو في قوله:

"فلا تدعوه أن يقيم بأرضكم، ولا بين عيالكم، وقد سلّطنا غضب الله وسخطه عليه، فاحفظوا جميع أموالكم وأحوالكم، وأنتم بفعل الخير أولى "[1].

في هذا المثال يبيّن الوالي العثمانيّ، قدرةً منسوبةً إلى شخص السُّلطان معبَّرا عنها بـ نا الدَّالة على الفاعلين، في مواجهة "هو" الآخر الَّذي وقع عليه العقاب والحكم، بعد سياقٍ قوليٍّ، يتَّسم بالتَّهديد والتَّحذير في بدايته، ووعظٍ ونصحٍ في نهايته، عملاً بالشَّاهدين القرآنيّين، اللّذين يستقدمهما من سورتي آل عمران والمائدة ، كما يُبيّن الجدول :

النّص الدّيوانيّ	النّص القرآنيّ
وقد سلطنا غضب الله	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّ كَانُواْ يَعْتَدُونَ[2]
وسخط الله	ترى كثيراً منهم يتولَّون الّذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم إنّ سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون[3]

1. تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني ، علّق على حواشيه الدكتور مارون رعد، إشراف نظير عبود، دار نظير عبود ،1997.ج3، ص992.

2آل عمران112.

3المائدة – 80.

وبتدقيق نظام العبارة، في تحوله من السِّياق القرآنيِّ إلى السِّياق الدِّيوانيِّ واندراجه فيه نلاحظ أنّ نصّ الرّسالة يقتطع من كلام الوحي، ويقوم بتحويل العبارة القرآنيّة الأصليّة داخل سياقه الخاصّ، ودونما أيّة إشارات تنصيصٍ تميّز هذا النّسيج اللُّغويِّ من غيره، أو حتَّى رمزٍ معيَّنٍ يدلُّ على أن هذا الكلام ليس من النَّسيج الأصليِّ [1].

هذا التَّحويل للعبارة القرآنيَّة الأصليَّة، وذلك الاندراج ضمن السِّياق الجديد يشير إلى عمليَّةٍ تفاعليَّةٍ، تتمُّ بين النَّسيجين اللُّغويَّين الدِّيوانيّ والقرآنيِّ تؤمِّن الوصل بينهما في قناةٍ نصيَّةٍ، تتيح انسراب النَّصِّ القرآنيِّ داخل النَّص الدِّيوانيِّ، بما يكفل إغناء النِّص الدِّيوانيِّ بحوافز لغويِّة، تتمثَّل بالقداسة الَّتي يتغذَّى بها الخطاب السُّلطانيِّ، من خلال عمليَّة الانسراب الَّتي جرت الإشارة إليها سابقاً .

إنّ عمليَّة الاقتباس هنا تتطوَّر وتتحوَّل بفعل مستخدم اللُّغة (المرسل) سلطاناً كان أو ناطقاً باسمه، وما يملكه من مقوِّماتٍ تتيح له الاستثمار الأمثل لآي القرآن الكريم وشبك مكوِّناته السِّياسيِّة مع مكوِّنات النَّص القرآنيِّ القدسيَّة ، وكمثالٍ على ذلك ما ورد في النص ذاته حين يخاطب الوالي محمَّد أبو الذَّهب[2] أهالي دمشق قائلاً:

"واجتهدوا فيما يجلب لكم السُّرور، ويدفع عنكم الشُّرور، ونحن نولي أمير الحجِّ الشَّامي من طرفنا حفظاً وصيانةً لحجَّاج بيت الله، فتعاونوا على عمل الخير وذهاب الضُّر والضَّير، ولا تتعاونوا على الإثم والعدوان والضَّلالة والطُّغيان وها نحن أخبرناكم وأنذرناكم، ومن إقامة هذه المظالم في أرضكم حذّرناكم وهذه العساكر ذاهبةٌ إليه والجميع مائلون عليه "3.

النّصّ الدّيوانيّ	النّصّ القرآنيّ
فتعاونوا على عمل الخير وذهاب الضّرّ والضَّير ولا تتعاونوا على الإثم والعدوان والضَّلالة والطُّغيان	يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تحلُّوا شعائر الله ولا الهدي ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربِّهم ورضواناً وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرّمنّكم شنآن قومٍ أن صدُّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتَّقوا الله إنَّ الله شديد العقاب[4]

يبدو النّص الدّيوانيّ متواشجاً نسقيّاً على محور الإيجاب، وتتقدّم الألفاظ في سياقٍ من الوعظ والنُّصح، والإعلام الهادئ بمطالب السُّلطان من رعيته، مع التَّلويح بالعقاب في نهاية كلامه من خلال تكرار الأفعال ؛ أخبرناكم ،أنذرناكم، حذَّرناكم، وفي هذه الدَّائرة يحرص النَّص السّلطانيّ على استثمار النّصّ القرآنيّ، وشبك نفسه به في إطارٍ من الالتحام

---

[1] ينظر:غواية الاستعادة النص القديم في أفق القراءة المعاصرة ، د وفيق سليطين، دار الينابيع ط1، 2009، ص41.

[2].هو الأمير محمد بك أبو الذهب، كان الذراع الأيمن لعلي بك الكبير وصهره، وقد أخذ علي بك الكبير يوليه المناصب حتى تولى منصب الخازن دار، وهو المسؤول عن خزانة الدولة، و من شدة فرحة محمد بك بهذا المنصب الكبير، قام بتوزيع الهبات والعطايا الذهبية على الفقراء والعامة ومن هنا لقب بمحمد بك أبو الذهب. وعندما بدأ سيده علي بك الكبير يستعد للاستقلال عن الدولة العثمانية أصبح قائدا للجيوش وفي تلك الأثناء كاد علي بك الكبير ينفصل عن الدولة العلية، حيث عقد عدة تحالفات مع أمراء الشام وعلى رأسهم ضاهر العمر، شيخ قبائل فلسطين، وكادت مصر أن تصبح دولة مستقلة عن الخلافة العثمانية، لولا غدر وخيانة محمد بك أبو الذهب الذي تحالف مع الدولة العثمانية وقتل ولي نعمته علي بك الكبير عام1188 هجرية- 1774 ميلادية وقد فاز بمنصب والي مصر جزاء خيانته. وقد وافته المنية في مدينة عكا ببلاد الشام عام 1189 هجرية- 1775 ميلادية وقد تم نقل جثمانه للقاهرة حيث دفن فيها ، لمزيد من الإيضاح انظر في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي ، نشر وتوزيع : المطبعة الميرية العامرة ببولاق، ط1 ، د.ت،المجلد الأول ص، 54، 55 ، 56، 57 .

[3]. تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني ، ج3ص992.

[4].المائدة -2 .

الإيجابيِّ، يوحد بين النَّصين في سياقٍ واحدٍ، ويعيد توجيه النَّص الدِّينيّ وإدراجه داخل النَّص السِّياسي، في مسعىً من الصَّهر والتَّوحيد، وإطارٍ من التّفاعل النَّصيَّ المميَّز بين النَّسيجين القرآنيّ والدَيوانيّ، يعزِّز من ذات المرسل في مقابل المرسل إليه .

ونلاحظ في هذا النّصّ الدّيوانيّ، أنّ المرسل حين يقتبس من النّصّ القرآنيّ لا يقيم أيّة فواصل تحفظ الحدود وتعيّنها بين النّصين، بل يعمد إلى ضخّ أحـدهما داخـل الآخـــر، في عمليّةٍ تفاعليّةٍ تهدف إلى إعلاء النّصِّ الدِّيوانيِّ، عبر دمجه بالمقدَّس القرآنيِّ، بما يكفل إعلاء ذات المرسل، في المواجهة النَّصيَّة مع ذات المرسل إليه، الَّتي تُواجَه بالخفض في إطارٍ من النُّصح والوعظ، الموشَّى بشيءٍ من التَّهديد والوعيد [1].

وإذا كان هذا المثال يندرج ضمن سياقٍ قوليٍّ، يتَّسم بالوعظ والنُّصح والإرشاد للرعيَّة فإنّ هناك نصوصاً ديوانيَّةً، لجأ المرسل فيها، من خلال عمليّة الاقتباس، إلى عقد مواجهةٍ نصّيةٍ بين الخير والشّر، اعتماداً على النّص القرآنيّ، الذي تماهى مع مكوّنات نصّه السّياسيّ، هذه المواجهة الّتي هدفت إلى إعلاء ذات المرسل ومن يتكلّم باسمه، أي مرجعيّته السّياسيّة الممثّلة بالسّلطان، وفي عمليّة الإعلاء هذه تسفيلٌ بالمواجهة للآخر، الضّدّ الّذي تُوقِع عليه ذات المرسل خطابها، في الوقت الذي تجعل منه هدفاً ومحلّاً لتوجّهات الخطاب القرآنيّ المستدخل، كما يتّضح في المثال الآتي:

"فلم يكن لكم بدٌّ من المسير بها، والسّلوك في شوارعها، وقد اتخذتم المشتري وهاروت كعقيدةٍ ودينٍ، وبعدتم عن قبول الحقّ المبين، ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله والرّسول وأولي الأمر منكم، فأطعتم غرور أنفسكم واقتفيتم آثار من تقدّمكم من الظّالمين، وسيتمّ ما حلّ بهم من العذاب المهين، وأشهرتم الجود والإسراف، وهجرتم الصّواب والإنصاف، وسعيتم في الأرض بالفساد، وما جزاء من يفعلون ذلك إلا أن يقتّلوا، أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ، فكان ذلك امتداداً لنحسكم في جنسكم "2:

النّصّ الدّيوانيّ	النّصّ القرآنيّ
وما جزاء من يفعلون ذلك إلّا أن يقتّلوا أو ويصلبّوا أوتقطّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ فكان ذلك امتداداً لنحسكم في جنسكم	إنّما جزاء الّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدّنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم[3]

نلاحظ في هذا المثال أيضاً اندراج النّص القرآنيّ، ضمن سياق النّصّ الدّيوانيّ وانصهاره وتفاعله معه، بحيث يبدو النّصّان جزءاً من متنٍ قوليٍّ متّحد ومتناسقٍ، وهنا تبدو عملية الاقتباس من القرآن، قائمةً على عزل عنصرٍ معيَّنٍ، وهم أفراد الرعية الثائرون في وجه السلطان، أي الحاشية السلطانية، والعمل على الحطِّ من شأنه وتحقيره في مواجهة الآخر أي المرسل ـ السُّلطان ـ ، وتأتي العبارات القرآنيَّة لتلخِّص هوية المخالفين من الرَّعيَّة وتقلَّص حضورهم، فتنغلق عليهم داخل حدودها الدِّلاليَّة المتواشجة نسقيّاً على محور السَّلب، لتقدِّم الرَّعيَّة في نظامٍ دلاليٍ محكم التّجانس يُنسَج من مفردات الفساد والخيانة والكفر، والمخالفة لأوامر الله والرَّسول والخوض في بحر الضَّلالة والطُّغيان والانضواء تحت

[1] ينظر:غواية الاستعادة النص القديم في أفق القراءة المعاصرة ، ص42.

[2].تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني ج4،ص1104.

[3].المائدة -33.

راية الكفر والغواية، في مواجهة راية العقيدة والاستقامة المنسوبة لشخص السُّلطان، وفي هذه المواجهة يبرز دور النّصّ الدّينيّ، فضلاً عمّا سبق ذكره في قوّة الرّفد والتّخصيب الّتي يغذّي بها النّصّ الدّيوانيّ بما يدعم الفكرة، ويقوّي الحجّة ويقيم الحدّ على الرّعيّة المخالفة .

وفي سياق متّصلٍ مع الكلام السّابق، تبرز في النّصوص الدّيوانيّة آليّة اقتباسٍ مختلفةٌ في الشّكل أو طريقة التّوظيف، متشابهةٌ في الهدف مع الآليّة السّابقة، هذه الآليّة الّتي تقوم على إدراج الآيات القرآنيّة، بطابعها التّهجيني وشحنتها القدحيّة[1]، في منحىً لتكفير الآخر في مقابل السُّلطان، سواءً أكان هذا الآخر من الرّعيّة الثّائرة، أو من الأعداء الخارجيِّين المتربِّصين بأمن السّلطنة شرًّا، وفيه يتمُّ استحضار الآخر، على مقلوب صورة الذّات المرسلة ـ السُّلطان ـ، بما يحقِّق في الآخر المثلبة كلها، من المنظور الدِّينيِّ المركزيِّ الذي يسحب عنه القيمة، ويرده إلى جوهر الكفر والفساد [2].

وهنا ينقل المرسل المواجهة من سلطانٍ ورعيّةٍ، إلى مواجهةٍ بين الخير والشّر والكفر والإيمان، بما يكفل بقاء المرسل في دائرة الخير والإيمان، بوساطة الحوافز القدسيّة التي يقدِّمها النّص الدّيني، والمكانة الاجتماعيّة التي يشغلها السّلطان، بصفته خليفةً للمسلمين المحكومين باسم الدّين، الأمر الّذي يجعله تحت رقعة الضّوء والمشاهدة ويجعل الآخر مُعتَّماً عليه في الظِّل خلف تلك الهالة من الضّوء التي يلفّ السّلطان بها نفسه، ومثال ذلك ما جاء في النّص ذاته حيث يقول :

"وكنّا نظنُّ بذهابنا المنيف في طريق الحجِّ الشّريف، أن يتغيَّر الخبث الذي بأنفسكم، إنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتّى يغيِّروا ما بأنفسهم، فبقيتم على ما أنتم عليه من الطّغيان والنّفاق والبهتان .....وإيّاكم المكر ومخالفة الصّواب، وإيقاع أنفسكم في هلكات الحساب، واعتبروا قوله تعالى فوقّاهم الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب، فانهضوا إلى الإطاعة والتّسليم [3]" وفي مثالٍ آخر من نصِّ الدّعوة إلى الجهاد جاء فيه قول السُّلطان سليم الثّالث عن الفرنسيِّين "وزعموا أن الكتب التي جاء بها الأنبياء تلفيق أباطيل، وليس القرآن والتوراة والإنجيل إلّا أساطيرٌ وأقاويل والّذين يدعون أنبياء كموسى وعيسى ومحمدٍ وغيرهم ماهم إلا بشرٌ مثلهم"4:

النّصّ الدّيوانيّ	النّصّ القرآنيّ
إن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم	له معقّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ[5]
فوقّاهم الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب	فوقّاه الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب[6]
والّذين يدعون أنبياء كموسى وعيسى ومحمّدٍ وغيرهم ما هم إلاّ بشرٌ مثلهم	قالو ما أنتم إلّا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرّحمن من شيءٍ إن أنتم إلّا تكذبون[7]

[1] . ينظر : غواية الاستعادة النص القديم في أفق القراءة المعاصرة ، ص42.

[2] . ينظر:المرجع نفسه، ص41.

3.تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني،ج1105،4.

4.تاريخ الأمير حيدر الشّهابي الشّملاني ،ج4، ص1125.

5.الرّعد – 11.

6.غافر – 45.

7.يس – 15.

ففي المثال الأوّل يبيّن سوء أعمال الرعيّة، حين يدرجها ضمن نسقٍ لغويٍّ يُكثر فيه من مفردات المكر والخداع وسوء النِّية والتآمر والنِّفاق والكذب، ثم يدعم نسقه اللُّغوي هذا بنسقٍ دينيٍّ، يدرجه متساوقاً مع الكلام السَّابق واللَّاحق دون أن يضع إشارة تنصيص أو يشير إلى العبارة القرآنية، هذا النَّسق اللُّغوي الدّيني الذي يدعم حجَّته في مواجهة الرَّعية، بما يحمله من استهجان لأفعال الرَّعيَّة، وسوء نواياها تجاه السُّلطان، يستقدمه من سورة الرَّعد (آيه11) ليقدِّم بكلامٍ يستكمله الشَّاهد القرآنيُّ الثَّاني، مفاده التَّحذير والتَّلويح بالعقاب في مواجهة من يخالف أوامر السُّلطان، والحضّ من جهةٍ أخرى على الرّضوخ للأوامر السّلطانيّة، من خلال قصّة آل فرعون الّتي يستحضرها، ليذكّر الغافل من الرّعية والعالم منها على حدٍّ سواءٍ، بعاقبة من يحيكون الدَّسائس والمكائد وهنا يحرص المرسل على تمييز الكلام الإلهيِّ الَّذي يقتطعه من سورة غافر(آيه54)، بالإشارة الخاصة التي تشير إليه دون تنصيصٍ بالدّعوة إلى اعتبار قوله تعالى .

وفي هذا الموضع، يعمل المرسل على تقوية خطابه السِّياسيِّ في عمليَّة المواجهة مع الرَّعيَّة بشواهدٍ من آي القرآن الكريم، تتميّز بكونها نسيجاً خاصّاً داخل الجسم اللّغويّ للنّصّ الدّيوانيّ، حين يسبقها بإشارة (قوله تعالى) ولكنّها تبقى في هذا المنحى من التَّوظيف حوافز خارجيَّةً، تتميَّز عن النَّسيج اللُّغوي العامِّ للنَّصِّ الدِّيوانيِّ، وتحضر فيه على نحوٍ خاصٍّ، يستدعي فصلها عمَّا سبقها بإشارةٍ، تميِّزها عن باقي الكلام في النَّص الدِّيوانيِّ ، وفي المثال الثَّاني الَّذي ينتمي إلى نصِّ الدَّعوة إلى الجهاد ضد الفرنسيِّين، يظهر توجه الخطاب السُّلطانيِّ إلى عدوٍّ يتهدَّد البلاد، لكن ليس من الدَّاخل كما في المثال السّابق بل عدوٌّ من الخارج، وفي إطارٍ من التَّناقض الَّذي يلفُّ توجُّهات الخطاب السِّياسيِّ العثمانيِّ، يظهر العدوُّ الدَّاخليُّ ممثَّلاً بالرَّعيَّة بمظهر المسلم الميمون والبطل البارِّ، الَّذي ينحدر نسبه من سلالة الأنبياء والخلفاء .

هذا المظهر وذلك الانقلاب في النّظرة، تمليهما متطلّبات السّياسة في مواجهة الخطر الّذي يهدّد السّلطان العثمانيّ، لتعود المواجهة من جديدٍ بين كفرٍ وإيمانٍ، وخيرٍ وشرٍّ، لكنّ السّلطان الّذي يحرِّك أمور المسلمين بيده، يعمد إلى نزع صبغة الخير والإيمان عنه ليلفَّ بها الرَّعية بأسرها، مع المحافظة على موقع الرَّأس في هذا المنحى، كما ينزع صبغة الكفر عن الرَّعية ليلَّف بها الفرنسيِّين، الَّذين يتهدَّدون أمن البلاد، وتأتي عمليَّة الاقتباس في إطارٍ من القدح والذَّمِّ والتَّشهير بالفرنسيِّين، وتكفير هؤلاء وشيطنتهم من خلال إشارة المرسل إلى مساس هؤلاء بالمقدَّس وجوهر العقيدة، وهي الكتب السَّماويَّة والأنبياء والرُّسل، وفي عمليَّة الحطِّ و التَّسفيل هذه، إعلاءٌ من شأن الرَّعيَّة ومن شأن من يرعاهم ،وبهذا يغدو بمنزلة المدافع الأوَّل عن جوهر العقيدة والدِّين، وخليفة المسلمين .

ومثل ذلك يعمد المرسل في النّصّ ذاته إلى عمليّةٍ تراكميّةٍ، يجمع بموجبها مفردات الغرور والضَّلال والطُّغيان والفسق والفجور والاتِّحاد تحت راية الشَّيطان والجور والبطش والفساد، في منحىً لتكريس شعور التَّقزُّز والتَّنفير من أفعالهم عند الرعيَّة، من خلال التَّهويل المبالغ فيه لدرجة وسمهم بجنود الشَّيطان، ما يولِّد حالةً من العزل والإحاطة تلفُّ الفرنسيِّين، وشعوراً متنامياً بالاستهجان عند الرَّعية، وتأتي العبارة الدِّينية بطابعها التَّهجيني، وشحنتها القدحيَّة، لتعزِّز ذاك الشُّعور عند عامَّة المسلمين ضدَّ الفرنسيِّين، عملاً بالشَّاهد القرآنيِّ الذي يستحضره من سورة ياسين (آيه 15)، وفيها قوله تعالى " قالوا ما أنتم إلاّ بشرٌ مثلنا وما أنزل الرّحمن من شيءٍ إن أنتم إلّا تكذبون "، ويبدو الهدف من حضور النّصّ الدّينيّ هنا، تحديد صورة الآخر ـ الفرنسيّين ـ مختزلةً في جوانب الكفر، وفساد المعتقد وشيطنة الأفعال والنّوايا .

إنّ عمليّة الاقتباس، هدفت إلى جعل الدّين متراساً يستتر به الحكّام من سلاطينَ وولاةٍ وأمراءَ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هدفت إلى تلوين النص بلونٍ ديني، يضفي عليه طابع القداسة، ليتمكن المرسل من الوصول إلى جميع شرائح المجتمع على اختلاف ثقافاتها.

حضور الخطاب الديني ضمن الخطاب الديواني أهدافه وأبعاد التوظيف:

إنَّ ضعف الحجَّة والبرهان عند المرسل في النُّصوص الدِّيوانيَّة، وسطحيَّة الطَّرح والافتقار إلى العمق والأفكار السِّياسيَّة جعلت الواقع الاجتماعيَّ والاقتصاديَّ للرَّعيَّة يغيب عن متن هذه النُّصوص، كما جعل الرَّعيَّة تحضر بوصفها أشباحاً أو ظلالاً في أكثر هذه النُّصوص، وهذا ما كرَّست له الإيديولوجيَّة الخطابيَّة في النُّصوص الدِّيوانيَّة .

تتبدّى أغراض الخطاب القرآنيّ، في العمل على جعل النّصوص الدّيوانيّة تتمركز على محور العقيدة والدّين، وجعل كلّ ما عدا ذلك يدور حول هذا المحور، بما يضفي نوعاً من الخصوصيّة على الذّات المرسلة للخطاب، بوصفها نقطة ارتكازٍ وإشعاعٍ تنبثق منها سائر الأمور التي تتعلّق بالسّلطنة .

ويبدو واضحاً من خلال الأمثلة التي تمَّت دراستها سابقاً، أنَّ حضور الخطاب القرآنيِّ يستهدف العقل والمنطق عند الآخر الممثَّل بالرَّعيَّة، بهدف إضفاء طابع الألوهيَّة والتَّقديس على شخص السُّلطان، بوصفه خليفة الله في المسلمين وظلَّه الممدود على العالمين .

وهنا يعمل الخطاب القرآنيُّ على خطَّين متوازيين؛ الأوَّل منها رسم صورة للسُّلطان وتكريس قدسيَّته وفرض طاعته، بجعله المشرِّع الأوَّل في أمور الرَّعيَّة، وخصّه بميزةٍ مستمدَّةٍ من الذات الإلهيَّة بإزجاء الثَّواب وتحديد العقاب، والحياة والموت بهدف إظهار السُّلطان بمظهر المدافع الأوَّل عن العقيدة والدِّين، ضدَّ أيِّ خطرٍ يتهدَّد البلاد.

وأما الخطُّ الثَّاني؛ فيقوم على رسم صورة للسُّلطان من خلال إظهار النَّقيض أو المقابل، وتشويه صورته استناداً إلى كتاب الله، على نحوٍ يضمن تحقيق المثلبة كلِّها في الآخر، ويكفل جعل صورة الذَّات المرسلة مضروبةً على نقاوة الذَّات الإلهيَّة وصورة الآخر مضروبةً على مثالب الكفر والفساد والضَّلال[1] .

وإذن فإن إضفاء طابع القداسة التي تلفُّ مركز الخطاب الدِّيوانيِّ، من خلال إبراز الذَّات السُّلطانيَّة؛ بوصفها جوهراً ومحرِّكاً للخطاب الدِّيوانيّ، ورفع الذَّات السُّلطانيَّة في مواجهة الآخر الممثَّل بالرَّعيَّة، من خلال تسفيل هذا الآخر في مواجهةٍ كلاميَّةٍ يصطنعها المرسل تدور بين خيرٍ وشرّ، حقٍّ وباطلٍ، واقعٍ وزائفٍ .

هذا من جهةٍ؛ من جهةٍ أخرى وقياساً على العامل النَّفسيِّ، فإنَّ الدِّلالات النَّفسيَّة في اللُّغة لا تنطلق من الأرضية النَّفسيَّة التي بُني عليها النَّص، ـ نفسيَّة السُّلطان أو المرسل ـ ، وإنَّما من تأثير النَّصِّ في نفسيَّة المتلقِّي، أيضاً فالعمليَّة الخطابيَّة ليست مجرَّد نوعٍ من سكب المعلومات في ذهن المتلقِّي، وإنَّما يجب أن تقوم على أركانٍ مهمَّةٍ، لجهة اختيار اللَّفظ، وبناء الكلمات أو العلاقة القائمة بين الكلمة والمضمون .

ولعلَّ هذا هو ما جعل المرسل يضع الخطاب القرآنيَّ في أولويَّة أهدافه، أي في نقطة المواجهة والتَّحدِّي مع المتلقِّي، والتَّركيز على وقعها وتأثيرها على نفسيَّته، من حيث كونها نصَّاً قبل أن تكون موضوعاً، نصَّاً قدسيَّاً خارجاً عن مألوف الحديث اليوميِّ أو الشَّفهيِّ، الذي تعوَّده العرب من حيث نظمه وطريقة بنائه، ولعلَّ هذا ما جعل من الآيات القرآنيَّة حوافزَ معنويةً خارجةً عن متن النّصِّ، ولكنَّها في الوقت عينه مغانم يكسبها السُّلطان في مواجهة الآخر الممثَّل

[1] .يرى الدكتور محمد أركون أن الخطاب السلطاني يقوم على مبدأ (الأخلاق –الثنائية) أو المتقابلات حيث الفضائل في مواجهة الرذائل وقوة الدولة في مقابل انهيارها و السلطان مقابل الرعية والخاصة مقابل العامة، لمزيد من الإيضاح يرجع إلى كتاب "الإسلام الأخلاق السياسة " تأليف محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح،مركز الإنماء العربي بيروت 1990،ص46وما بعدها .

بالرَّعيَّة هذه الحوافز تتمثَّل في كون روح النَّصِّ الدِّيني روحاً تجاوبيَّةً تأثريَّةً، تقبل الأخذ والعطاء من حيث التَّأويل، وهي انفتاحيَّةً مع عصرها وليست جامدةً، ومن هنا برزت الحاجة إلى وجود هذه الآيات في النُّصوص الدِّيوانيَّة، كي تضمن للمرسل نوعاً من التَّجاوب والتَّأثر بالخطاب المطروح اعتماداً على إعجاز القرآن "إنّ من وجوه إعجاز القرآن أنّ كلام النّاس لا ينطبق عليه، فلو كان في كلام النّاس، لظهر عليه صبغ النّفس الإنسانيّة لا محالة بأوضح معانيه، وأظهر ألوانه، وبصفاتٍ كثيرةٍ من أحوال النّفس وحسبك أن تأخذ قطعةً في الموعظة والتَّرغيب أو الزّجر والتّأديب، أو نحو ذلك ممّا يستفيض فيه الكلام الإنسانيّ، فتقرنها إلى قطعة مثلها من كلام أبلغ النّاس بياناً وأفصحهم عربيةً، لترى فرقاً ما بين أثر المعنى الواحد في كلتا القطعتين، ولتقع على البون الشاسع بين المعاني الإلهيّة و المعاني الإنسانيّة في السّعة والتّمكّن"[1].

إنَّ طغيان الآية القرآنيَّة أو الحديث النَّبويِّ في الخطاب السِّياسيِّ، بوصفهما الإطار المرجعيَّ الأساسيَّ، لم يكن مجرَّد إحالةٍ من الخطاب السِّياسيِّ على النَّصِّ الدِّينيِّ، بل كان الهدف منها جعل النَّصّ السِّياسيِّ يبدو دينياً في عمقه، وإن خرج عن الأصل الديني وابتعد عنه، كان عليه أن يُؤوَّل ويُحوَّر ويُفسَّر لتبرير غائيَّة الخطاب السِّياسيِّ، لأنَّ الدَّولة العثمانيَّة قامت بالأساس في مواجهة الآخر الغريب عنها كمحاولةٍ لدمجه في هيكلها وبناها السِّياسيَّة، ولذا كان لابدَّ من تبرير تلك المواجهة الدَّمويَّة في الغالب، وعبر كلِّ تلك العمليَّة المعقَّدة كانت الرَّاية الدِّينيَّة مرفوعةً من قبل المرسل في مواجهة الرَّعية المحكومة تارةً، وفي مواجهة الأعداء الخارجيِّين تارةً أخرى وفي عمقها النَّص الدِّيني الطَّاغي قرآناً كان أم حديثاً .

فالنَّصُّ الدِّينيُّ كان جاهزاً، ولا يحتاج سوى الاستدعاء السَّريع، وتطويعه طبقاً لموقف الخطاب وأهدافه هنا أوهناك، وبطريقةٍ تتناسب مع أولويَّة المشاغل وضغط الحاجات السِّياسيَّة المركزيَّة للسَّلطنة، فالمطلوب من الخطاب القرآنيِّ، حسم المجابهة الفكريَّة التي عقدها المرسل مع الآخر لصالح المرسل أي ـ السُّلطان ـ، كطريقٍ ممهِّدٍ لحسم المعركة الماديَّة والتي كانت المجابهة الفكرية بمنزلة ملهمٍ لها ودافعٍ لانطلاقها.

الاستحضارُ والاسترجاعُ:

عمليَّةٌ لغويَّةٌ تشكِّل جزءاً من عمليَّة الاقتباس، وهي في تحديد المصطلح إحدى أبرز ثنائيَّات علم اللُّغة التي أطلِق عليها "الحضور والغياب "وتعني أنَّ اللُّغة بطبيعتها قائمةٌ على تداعي الأفكار من نصوصٍ سابقةٍ واستحضار بنياتٍ لغويَّةٍ من تلك النّصوص، واسترجاع مؤدَّاها لتوظيفه في البنية اللُّغويَّة الجديدة.

وبالحديث عن النَّص الدِّيواني تبدو هذه الثُّنائية حاضرةً بقوَّةٍ من خلال منسربات النَّص الدّينيّ التي تندمج وتتساوق مع لغة النّص الدّيوانيّ، وهنا تبدو عملية الاستحضار وثيقة الصّلة بآليّة الاقتباس، من خلال عمليّة تداعي الأفكار، التي يسوقها توظيف النّص الدّيني بحضوره البارز في النّص الدِّيواني،"فالنّصوص الدّينيّة ليست نصوصاً مفارقةً لبنية الثَّقافة التي تشكَّلت في إطارها بأيِّ حالٍ من الأحوال والمصدر الإلهيّ لتلك النّصوص، لا يلغي إطلاقاً حقيقة كونها نصوصاً لغويَّةً، بكلِّ ما تعنيه اللّغة من ارتباط بالزَّمان والمكان التّاريخيّ والاجتماعي"[2]، إذ حين تحضر الآية القرآنية لا تحضر بصفتها قطعةً لغويّةً معزولةً كما جرى الحديث سابقاً، أو بصفتها بنيةً لغويّةً معزولةً عمّا سواها، بل تحضر الآية القرآنيّة مع مجموع ما تؤدّيه في الخطاب السّياسيّ وهذه العمليّة تفرضها طبيعة اللّغة، ويتحكّم

[1].إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية ، مصطفى صادق الرّافعي، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان (د.ت) ص 206 .

[2].النّص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة ، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط1 1995،ص92.

فيها مستخدم اللّغة من خلال عمليّة التّوظيف، ففي المثال التّالي تكوّن الآية القرآنيّة جزءاً من المتن القوليّ للنّصّ السّياسيّ وفي سياقٍ من التّحذير من مغبّة مخالفة أوامر السّلطان حين يقول :

"وإياكم المكر ومخالفة الصواب، وإيقاع أنفسكم في هلكات الحساب، واعتبروا قوله تعالى فوقّاهم الله سيِّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب[1]، فانهضوا إلى الإطاعة والتسليم "[2].

يلاحظُ هنا أنّ الهدف الأوليّ من حضور النّص القرآنيّ، هو الاستناد إلى المقدّس لدعم الفكرة، وتقوية حجة السّلطان في مواجهة الرّعيّة، لكنّ مزيداً من التّمعن في البنية القرآنيّة هنا، يحيلنا بالضّرورة إلى المصدر الذي جاءت منه الآية القرآنيّة، وهي سورة غافر، ليتّضح أنّ الهدف الأساس الذي من أجله حضرت الآية القرآنيّة وهو استحضار قصة آل فرعون مع نبي الله موسى، وكيف أذلّهم الله حين تعدّوا على نبيّه، وخالفوا أمره فأنزل بهم أشدّ العقاب .

فاللّغة الكاملة التي يتمتّع بها النّص الدّينيّ تجعل آليّة الاستحضار والاسترجاع تحضر على نحوٍ واضحٍ جليٍّ عند الاقتباس من هذا النّص وتتيح للنّص السّياسيّ أن يستثمر كل إمكانات هذه اللّغة الدّينيّة وطاقاتها نتيجة النّقص الذي تعانيه لغته في إيصال هذه المعلومة "وإذا كنّا في تعاملنا مع النّص الدّيني تنطلق من حقيقة كونه نصًّا لغويّا فليس معنى ذلك إغفال الطّبيعة النّوعيّة لخصائصه النّصيّة وليس مقصودنا هنا بخصائصه النّصيّة الوقوف عند مستوى المرسل /قائل النّص/ ، فالنّص القرآنيّ يستمدّ خصائصه المميّزة له من حقائق بشريّةٍ دنيويّةٍ اجتماعيّةٍ ثقافيّةٍ لغويّةٍ في المحلّ الأوّل[3]".

وفي سياقٍ متّصلٍ مع ما سبق يعمد المرسل إلى استحضار النّصّ الدّينيّ وتوظيفه مرّةً أخرى في إطارٍ مختلفٍ عن توظيفه السّابق مستعيناً بما يقدّمه النّص الدّينيّ من مرونةٍ وقوّةٍ في الرّفدِ والتّخصيبِ تجعله يتيح عدداً من الإمكانات التي يمكن استثمارها لنجد القصّة القرآنيّة ذاتها تحضر في نصٍّ آخر.

ففي نصّ الكتاب الذي وجّهه السُّلطان العثمانيّ عن طريق واليه محمّد أبي الذّهب عمد المرسل في بداية خطابه السِّياسيّ إلى شحن عددٍ من الآيات القرآنيّة في سياقٍ قوليٍّ واحدٍ ينسجه من مفردات التّهديد والوعيد للظّالمين والمفسدين بالهلاك بعد حمد الله على عطاياه وكريم عدله حيث يقول :

"مضمونه حمد باري النِّسم ومحيي الرّمم الذي قدّس وعظّم قدر الحرم القائل في كتابه المبين إنّ الله لا يحب الظّالمين ولا يصلح عمل المفسدين .... أما بعد فالّذي يحيط به كريم عملكم وزكيّ فهمكم أنّ الأمّة لا تجتمع على الضّلالة وقد علمتم ما صنعه عثمان باشا في أرضكم من الظّلم والجهالة، وأنه قد أهان الحجّاج والزّوار وسلط عليهم الأشرار والفجّار وظلم المسافرين والتّجار وأذلّا الأماكن الشّريفة وبدل من الحرمين بالخيفة[4]".

النَّص الدِّيوانيّ	النّص القرآنيّ
ولا يصلح عمل المفسدين[5]	فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السّحر إن الله سيبطله إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين [6]

[1]. غافر54 .

[2].تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني ،ج4ص1104.

[3].النّص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص97.

[4].تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني ،ج3ص991.

[5]. المصدرنفسه ، ص803.

[6].يونس 81 .

تحضر هنا قصّة النّبيّ موسى مع آل فرعون مرّةً ثانيةً، من خلال الآية (81)من سورة يونس، في سياق قوليٍّ يختلف قليلاً عن سياق النّصّ الدّيوانيّ السّابق في المضمون ويتّفق معه في الهدف، إذ تحضر الآية القرآنيّة في معرض التّذكير بخيبة المفسدين في الأرض، وهزيمتهم أمام أولياء الله، وفي إشارةٍ ضمنيّةٍ مفادها التّلميح إلى عاقبة هؤلاء ونهايتهم.

ويبدو الهدف من عمليّة استحضار النّصّ القرآنيّ ها هنا، متّفقاً مع هدف الآية السَّابقة في التَّذكير بقصص الأنبياء مع الكفَّار واسترجاع العبرة الكامنة خلف توظيف النَّص القرآنيّ، بالتّحذير من عاقبة المخالفة لأولياء الله في أرضه، أنبياءَ ورسلاً وخلفاءَ كون الخليفة لقباً من ألقاب السّلطان.

ويبدو واضحاً من كلّ ما تقدَّم كسب المواجهة من نقطة البداية، في المعركة الخطابيَّة الّتي يعقدها المرسل مع المتلقِّي أو الآخر وتحصيل أكبر قدرٍ ممكنٍ من الامتيازات القدسيَّة والاجتماعيَّة، التي يحصّلها اعتماداً على النّص الدّينيّ، ففي سياقٍ متّصلٍ بالكلام السَّابق، يلجأ المرسل إلى تعويض القصور الذي يعانيه خطابه السِّياسيّ، والمتمثّل في قلّة العمق الفكريّ من خلال ما يستحضره من الخطاب الدّينيّ، من آياتٍ قرآنيّةٍ تحيل إلى موقفٍ تاريخيٍّ[1] مع امتداده الزّمانيّ والمكاني وبعده الثَّقافيِّ،وتعمل على استنهاض العصبيّة الدينيّة، وهو ما يبدو من خلال الكتاب الذي وجّهه أحمد باشا الجزّار والي عكّا، إلى أهالي دمشق وممّا جاء فيه قوله:

"والآن فاعلموا وتحقّقوا أنّكم إن سلكتم في طريق الطّاعة لولدنا المشار إليه فعليكم من طرفنا أمان الله وأمان رسوله ثمّ أماننا، ولا تشاهدون منّا إلا المسرّة وإن ثبتم على حالكم وسوء أعمالكم فبعناية الملك القاهر لأنشبنّ بكم الأظافر ولأتركنّكم كالأمس العابر فسلّموا تسلموا وإن عاندتم تندموا ولا تدخلوا في حيّز قوله تعالى من نكث لا ينكث على نفسه وإيّاكم المكر ومخالفة الصّواب"[2].

ففي سياقٍ لغويٍّ مشحونٍ بقوة الغضب المستمدّة من السّلطة، والذي يتمّ تركيبه من مفردات التّهديد والتَّحذير، المشروط بالطّاعة والتّسليم تأتي الآية القرآنيّة من سورة الفتح، لتذكِّر بقصَّة البيعة الكبرى بالحديبيَّة، الأمر الذي يبدو مناقضاً للسِّياق اللُّغويِّ الذي يسبقها، لكنَّ استدعاءً للحادثةِ التاريخيَّة، يحيلنا بالضَّرورة على نهاية الكفَّار والمشركين في قريشٍ حين التف المسلمون حول راية الرَّسول وكيف خضع المشركون للصّلح والتّسليم لأمر الله ورسوله من بعده :

النّص الدّيواني	النّص القرآنيّ
من نكث لا ينكث على نفسه [3]	إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراّ عظيماّ[4]

[1].الهدف من التّذكير بهذه الوحدات، يتجلّى في إعطاء المرسل إمكانية للتّعبير عن ذاتيته، كما يهدف إلى تعقيد زمن الوقائع التّاريخية، بمواجهته مع زمن آخر هو زمن الخطاب نفسه، والذي يمكن أن نسميه اختصاراً الزّمن الورقيّ، وفي النّتيجة فإن حضور إشاراتٍ تعبيريّةٍ واضحةٍ في السّرد التّاريخي، يهدف إلى تفكيك خيط تسلسل الوقائع التّاريخيّة، وإرجاع زمنٍ معقّدٍ ثابتٍ أسطوريٍّ، على هيئة ذكرى أو توقٍ إلى الماضي، لمزيدٍ من الإيضاح ينظر في هسهسة اللغة رولان بارت ، ترجمة " منذر عيَّاشي ، ج5، الأعمال الكاملة مركز الإنماء الحضاريّ، ط1 1999. ص196،195.

[2].تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني ،ج4ص 1104.

[3]. المصدر نفسه ، ص 867 .

[4].الفتح –10 .

إن الحضور الطاغي للقارئ في النَّص القرآنيّ والسّياسيّ على حدٍّ سواء، وحثّه المستمر على التّفهم أو التَّسليم بمعطيات النّص،لا ينفصل عن طبيعة الرّسالة الموجّهة إليه من جهةٍ ولاعن طبيعة المتكلّم أو المرسل من جهةٍ أخرى، الرّامية إلى إفهام المتلقّي عن طريق تحريض ذاكرته على استحضار الأحداث بزمانها والعبرة الكامنة منها،مما يضمن للمرسل قوَّة التَّأثير والإقناع.

إذاً يمكن القول إن عمليَّة الاقتباس من النُّصوص القرآنيّة القصصيّة،تعتمد على آليَّة الاستيعاب وإعادة التَّوظيف من خلال سياقٍ يعيد تأويلها ناطقاً بإيديولوجيّة النّصّ السّياسيّ، وهذا هو جوهر عمليّة الاستحضار والاسترجاع.

المنظورُ المتعارضُ :

في عملية الاقتباس؛ تنعقد المواجهةُ بين المرسل والمتلقّي في الخطاب السّياسيّ، مستعينةً بما تستمدّه من المقطوعات النّثريّة التي تأتي من نصوصٍ أخرى، من طاقةٍ توظَّف إيجاباً أو سلباً حسب رغبة المرسل، وتبعاً لكيفيّة توظيفه هذه المقطوعات والهدف الذي تؤدّيه في هذه العمليّة .

وفي هذا الإطار ينزع الخطاب السّياسيّ، إلى كبت العوامل الاجتماعيّة والشؤون الدّنيويَّة للآخر الممثَّل بالرّعيّة، وتقييده بها تحت ضغط الحضور المكثّف للعوامل السّياسيّة والدّينيّة، فيعمد إلى التّمركز في جوهر العقيدة، عن طريق تنحية الأسباب الماديّة وتغييبها تحت تضخّم العامل الدّيني، ومضاعفة حضوره .

وهنا تتواتر ضروب الاقتباس من آي القرآن الكريم لإدانة الآخر، وتقليص حضوره وعزله في دائرة الظّل، الأمر الذي يجعل حضور الآخر في النّص السّياسيّ حضوراً مهمّشاً، أو مختزلاً في حيّز الاستماع والتّنفيذ والطّاعة .

ولما كان الخطاب الدّينيّ خطاباً موجَّهاً، يتمتّع بمقوّماته ومزاياه الخاصّة، الّتي تجعل من عقل المتلقي محطّ اهتمامها، ودائرة انشغالها، كان لا بدّ من تضافر هذه المقوّمات مع مقوّمات الخطاب السّياسيّ، بهدف إضفاء طابع العقلانيّة والمنطقيّة على رغبات السّلطان، ليختلط البشريّ المسيّس مع الدِّينيّ الرّوحانيّ المقدّس، في إطارٍ معرفيٍّ وثقافيٍّ مشتركٍ، يفهمه كلٌّ من المرسل والمتلقّي في العمليَّة الخطابيَّة .

"فالنّص الدّينيّ ليس مجرّد إبداع للخالق فقط ، بل هو أيضاً فعلٌ في التّاريخ، فعلٌ امتداديٌّ يحمل طابع السّيطرة المطلقة على الأفكار الأخرى، وهو رؤيةٌ أو يحمل رؤيةً ذات نزعةٍ نهائيّةٍ للعالم تفسِّره وتغيِّره، بينما يحمل النّص السّياسيّ محدوديّةً في التّفسير والتّغيير، ويحمل نسبيّته الذّاتيّة والتّاريخيّة[1]".

لكنَّ زمام الأمور في إدارة العمليّة الخطابيّة وتوجيه النّص السّياسيّ، تنفلت من يد المرسل حين يتعلَّق الأمر بالنّصوص الدّينيّة، لسببٍ بسيطٍ يتمثّل في كون هذه النّصوص تشريعاً عامَّاً، ينطبق وفقاً لأصول الشّريعة عل كافّة أفراد المجتمع، ولاةً وأمراء وعلماء ورعيّةً .

وهنا تبدو الإشكاليّة التي يخلقها حضور النّصوص الدّينيّة في النّص السّياسيّ، فمن المعلوم أن مجموعةً من المتلقّين للخطاب السّياسيّ، كانت تنظر إلى العثمانيّين نظرة المستعمر والمحتلّ، وهذا الجانب يجب ألاّ يغفل عند البحث في بنية الخطاب السّياسي العثمانيّ، لأنّ المتلقّي هو جزّء رئيس من العمليّة السّياسيّة والاجتماعيّة، ومن هنا فإنّ نظرته للنّصوص، كانت تنطلق من مبدأ أنّ النّصوص الدّينيّة التي تحضر في الخطاب السّياسيّ، تدين المرسل قبل مجموعة المتلقّين، وتحاكمه على طغيانه بصفته راعياً و مسؤولاً عن رعيّته، خاصّةً حين تأتي تلك النّصوص في

---

[1] **.سلطة النص، قراءات في توظيف النص الديني ، عبد الهادي عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الحمراء، ط1، 1993 ، ص23.**

معرض التّهديد والوعيد، فإنّها تحمل معنيين وفقاً لوجهتي نظرٍ مختلفتين،"فحين يتحوّل الصّراع الاجتماعيّ والسّياسيّ من مجال الواقع إلى مجال النّصوص، يتحوّل العقل إلى تابع للنّصّ وتتحدّد كلّ مهمّته في استثمار النّص لتبرير الواقع إيديولوجيّاً،...وينتهي ذلك إلى تحوّل الصّراع إلى جدلٍ دينيٍّ حول تأويل النّصوص وبالإضافة إلى ذلك يؤدّي تحكيم النّصوص، في مجال الصّراع الاجتماعيّ والسّياسيّ إلى الشّموليّة في فعاليّة النّصوص حتّى وصلت حدّ الهيمنة في الخطاب الدّينيّ المتأخّر"[1].

فالمرسل وضع نفسه مشرّعاً في العمليّة الخطابيّة، ووضع الثّواب والعقاب بيده، مستمدّاً تلك القوّة من الخطاب القدسيّ الذي يتحصّن خلفه، ويحكم المسلمين به كخليفة لله في أرضه، "وهو ما يمكن أن نطلق عليه حقّ الحاكميّة المطلقة، الّذي ينشأ عنه حقّ التّشريع للعباد وحقّ وضع المناهج لحياتهم، وحق وضع القيم التي تقوم عليها هذه الحياة،.....وكلّ من ادّعى لنفسه حقّ وضع منهجٍ لحياة جماعة من النّاس، فقد ادّعى حقّ الألوهيّة عليهم، بادّعائه أكبر خصائص الألوهيّة، وكل من أقرّه من النّاس على هذا الإدّعاء فقد اتّخذ إلها من دون الله،بالاعتراف له بأكبر خصائص الألوهيّة"[2].

" ويكفي إذن أن نشير بالمقابل، إلى أنّنا ننسى بسبب كثرة الاستعمال، أنَّ الرَّعيَّة تعني في اللُّغة العربيَّة نفسها الماشية، والقطيع من الأكباش والنِّعاج، وقليلاً ما ننتبه أنَّ الرَّاعي الواحد كثيراً ما يعد –على تعدد الرُّعاة على رعيَّةٍ واحدةٍ، حتَّى ولو كانوا قليلي العدد "الحاشية " – بمنزلة الآلهة "[3].

إذاً؛ عندما يلجأ المرسل إلى النُّصوص الدِّينيَّة، فإنَّه يسوقها وفقا لنظرته وانطلاقاً من كونه حاكماً على رعيَّةٍ تساس بالقوّة والبطش تارةً وبالدِّين تارةً أخرى ، أي يسوقه لإدانة الرّعيّة وفق وجهة نظره، لكنّ الرّعيّة أو شريحةً كبرى منها، ترى في النّصوص الدّينيّة إدانةً له من لسانه، ونسفاً لعمق خطابه السّياسيّ، انطلاقاً من نظرتها له كمستعمرٍ ومستبدٍّ وظالمٍ .

وفي هذا السّياق تحضر الآية القرآنيّة في النّص الدّيوانيّ، الذي تمّت دراسته في أكثر من منحى في هذا الفصل، وذلك لأهميّته في الكشف عن وجه السُّلطة الآخر على يد أحد ولاتها ففي هذا النّصّ الّذي يعجّ بالتّهديد والوعيد، والتّحذير والإنذار للرعيّة بالهلاك المبين، تأتي الآية القرآنيّة لتدعم حجّة الوالي، وتكون مسوِّغاً لا مجال للشّك فيه من كتاب المسلمين، يسوِّغ للوالي سحق الرّعيّة حتّى ولو كانت مظلومةً كما تدلّ كتب التّاريخ، التي وثّقت لهذه الحوادث في بلاد الشّام.

لكنّ هذه الآية وعلى الرّغم من حضورها وتوجيهها من قبل المرسل، إلاّ أنّه لا يستطيع أن يغيّر في مغزاها العامّ، لأنهّا كلامٌ إلهيٌّ ينطوي على حقائق دينيّةٍ وثقافيّةٍ واجتماعيّةٍ تخص البشريّة كافّةً، وهذا المغزى العام ينسف النّص من داخله ويقيم الحجّة على المرسل من وجهة نظر المتلقّي، لأنّ الولاة هم رأس الفساد في الدّولة وهم أدوات السّلطان، ووفقاً لمنطق العقل الذي يستهدفه الخطاب الدّيني ويجعله غايته، فإن هؤلاء الولاة أولى بأن تطبّق عليهم أحكام الشّريعة .

---

[1]. نقد الخطاب الدّيني،نصر حامد أبو زيد ، دار سينا للنّشر،ش18 ضريح سعد،القصر العينيّ،القاهرة،جمهورية مصر العربيّة،ط2 1994 ص102.

[2].هذا الـديــن، سـيد قطب، منشورات الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، إنديانا أميركا، 1970 م ص 15 ،16.

[3]. العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، محمد عابد الجابري ، المركز الثقافي العربي ،1990،ص41.

وفي سياقٍ متّصلٍ مع ما سبق، يأتي نصّ الدّعوة إلى الجهاد وممّا جاء فيه:

"والناس في البشرية سواء كلهم، ليس لواحد على آخر فضل ولا مزية، بل الجميع مشتركون في الإنسانية على السوية، وكل منهم في ذاته يدبر أمر نفسه في حياته،وعلى هذا الاعتقاد الباطن والرأي السقيم بنوا قواعد جديدة، وقوانين شديدة وثبتوا على ما وسوس لهم الشيطان، وهدموا قواعد الأديان، وحللوا لأنفسهم جميع المحرمات، واستباحوا كل ما تميل إليه الشهوات، وأضلّوا بشقائهم العوام، الذين كالهوام، وقد فتنوا الملل، وألقوا الفساد بين الملوك والدول، وهم يخاطبون كل طائفة أننا منكم وعلى دينكم ويعدونهم بالمواعيد الباطلة، ويحذرونهم بالتحذيرات الهائلة، وقد انهمكوا في الفسق والفجور، وركبوا مطية الغرور، وخاضوا في بحر الضلالة والطغيان، واتحدوا تحت راية الشيطان، فلا حاكم يرعاهم ولا دين يردعهم وقد قهروا من لم يطعهم ويتبعهم فصارت طوائف الإفرنج من جرى[1] ذلك في اشتغال بال وأشد بلبال، وهؤلاء يهرون هرير الكلاب وينهشون نهش الذئاب، وقد جمعوا على تلك الطوائف الرجال، يريدون هدم قواعد دينهم، وسبي النساء ونهب الأموال فجرت الدماء بينهم كالماء، وإذا كان هذا قصد الفرنساويِّن الكافرين، فكيف لا يكون قتالهم فرضاً على المسلمين، فيا أبطال الحرب ورجال الطّعن والضّرب، ويا أيمّة الشّريعة المحمديّة، وقواعد الله الحنفيّة، ويا جميع المسلمين، المؤمنين بالله وبرسوله الأمين، أظهروا الهمّة المحمديّة، في حرب هذه الملّة الرّديّة، لأنّهم يزعمون أن زمرة الموحّدين، هم كالكفرة الذين فتنوهم بفسادهم، واستولوا على بلادهم وحوّلوهم إلى اعتقادهم، ولم يعلم هؤلاء الملاعين، أنّ الإسلام مغروسٌ في أحشائنا والإيمان ممزوجٌ بدمائنا، فكونوا على حذرٍ من مكائدهم ومفاسدهم، ولا يرعكم تهدّدهم وتوعّدهم[2].

يعزّز نصّ الجهاد التّناقض الحاصل بين المرسل والمتلقّي في العمليّة الخطابيّة، مع كلّ ما يحمله من متناقضاتٍ وخفايا فالنّص يدعو إلى مجابهة الفرنسيِّن، الذين هجموا على البلاد والعباد، وسعوا في الأرض بالفساد، في محاولةٍ لحصرهم في دائرة الكفر والإلحاد، وتصويرهم كمستعمرٍ تعدّى حدود الدّين .

في هذا النّص يعمد المرسل إلى شحنٍ دينيٍّ، عن طريق تحريك مشاعر العصبيّة الدينيّة لجمهور المسلمين الممثّل بالرعيّة، في حضورٍ لافتٍ و بارزٍ تتقدَّم فيه الرَّعية إلى واجهة الخطاب السِّياسيِّ في مواجهة الفرنسيِّين، إذ تحضر الرَّعيّة هنا منذ بداية الخطاب بصورة الرِّجال الميامين، وأبطال الفتوح الإسلاميِّة والخلف الصَّالح للسَّلف في تناقضٍ واضحٍ مع النَّص السَّابق، الذي تحضر فيه الرَّعية كمصدرٍ للفساد والشَّر والخيانة، وخلق المؤامرات على السُّلطان .

إن نظرةً متمعّنةٍ للخطاب السّياسيّ ها هنا، تكشف عن حقيقةٍ هامّةٍ، وهي أنّ الرّعيّة تحضر إلى واجهة الخطاب في هذه المواجهة بإرادة السّلطان وأدواته وليس بإرادتها إذ يعمد إلى تنحية نفسه عن عمليّة الصّدام المباشر مع الفرنسيّ، من خلال تقديم الرّعيّة واستنهاض هممها بألفاظٍ ينتقيها بعنايةٍ، لتعزّز عامل العقيدة والرّبط بالجذور والأصول الإسلاميّة، والتّذكير بالأيّام الخوالي في عصر الفتوحات وحروب الثّغور.

إذاً تحضر الرّعيّة إلى واجهة الخطاب والمواجهة الكلاميّة بإرادة السّلطان، الذي يدير تلك المواجهة بأدواتٍ خفيّةٍ، واضعاً نفسه خلف الرّعيّة في المواجهة المباشرة مع الفرنسيّ على أرض المعركة، وفي المواجهة الكلاميّة .

إن مقارنةً بسيطةً بين هذا النَّص الدِّيوانيِّ والنّص السّابق تكشف عن تناقضٍ كبيرٍ بين نظرة السّلطان إلى الرّعيّة في نصّ الجهاد، ونظرته إليها في النّص الذي أُرسل إلى أهالي دمشق لإعلان الطّاعة .

---

[1] كما وردت في المصدر والأصل جرّاء.

[2] تاريخ الأمير حيدر الشهابي الشملاني ،ج3ص1124،1125.

هذا التناقض لا بد أن يستشّفه المتلقّي أو الآخر، أي تلك الفئة من الرّعيّة التي جعلت من خطاب السّلطان محطّ اهتمامها، تلك الفئة التي تمّت الإشارة إليها سابقاً والتي تنظر إلى السّلطان وأعوانه نظرة المستبدّ والمستعمر، إذ يمكن وبكلّ بساطةٍ ومن خلال المقارنة أن يكشف المتلقّي تناقض الخطابين، بين رعيَّة فاسدةٍ ورعيّةٍ صالحةٍ، وبين أعوان الشّيطان وأعوان الأئمّة والأولياء .

كما يبدو التناقض كبيراً، بين واقع المسلمين الذي يصوره السلطان كما يحب ويشتهي، علماءَ وفقهاءَ ومواطنين صالحين يتمتّعون بكافّة حقوقهم، وبين واقعٍ حقيقيٍّ معيشٍ ، يتمُّ تنحيته وتهميشه بعيداً في دائرة الظّل.

وفي هذا الخطاب يتمُّ تنحية كلّ ما هو اجتماعيٌّ وواقعيٌّ ، ويلامس حياة المتلقّي من شؤون دنيويّةٍ عن دائرة الضوء، تحت وطأة الحضور المكثّف للواقع الدّينيّ،الذي يصوّره السّلطان بأدواته واقعاً مأزوماً ومهدَّداً من قبل الكفّار الفرنسيّين، لا يقل تأزُّما عن الواقع السّياسيّ، وأخيراً لا بدَّ من الإشارة إلى نقطةٍ في غاية الأهميَّة؛ وهي أنّ الرّعيّة لم تعد كلها في المستوى نفسه من التّفهّم والقبول للخطاب السّياسيّ، وهذا ما قاد إلى اندلاع الثّوراتِ ضدّ الحكم العثمانيّ في مراحلَ لاحقةٍ وكانت تلك الخطابات بما تحمله من ازدواجيّةٍ وتناقضٍ وتعارضٍ في المنظور، شرارة انطلاق هذه الثّورات.

الخاتمة:

يبدو النص الديواني مسترسلاً ومتنوعاً، يتخلّله شيءٌ من التّداعي، يسمح له بالانتقال بين مجالاتٍ معرفيّةٍ متباينةٍ، ممّا يجعله مثقلاً إلى حدٍّ كبيرٍ بالعديد من الاستشهادات المختلفة، من آيةٍ قرآنيّةٍ أو حديثٍ نبويٍّ، إلى واقعةٍ تاريخيَّةٍ، إلى حكمةٍ أخلاقيَّةٍ.

وفي النّص الدّيوانيّ يتمّ توظيف الدّينيّ لصالح السّياسيّ، من خلال عملية الاقتباس ، لتحقيق مكاسب سياسيّةٍ بحتةٍ على مستوى الخطاب، ممثّلةٍ في سلب قوّة القرار وزمام المبادرة من المتلقّي، وحصره في دائرة الاستماع الصّامت عديم الجدوى، وكيف يعيد النّص السّياسيّ من خلال عمليّة الاستحضار والاسترجاع، توظيف النّصوص القرآنية، من خلال سياقٍ يعيد تأويلها ناطقاً بإيديولوجية النّص السّياسي، والتّناقض الذي قد تسوقه هذه العمليّة، من خلال تباين وجهات النّظر بين كلٍّ من المرسل والمتلقّي، ودور الخطاب القرآني في إضفاء طابع القداسة على مرسل الخطاب السّياسيّ، وجعل النّص السّياسيّ يبدو دينيّاً في عمقه، ليحقّق عمليّة الحسم، حسم المجابهة الفكريّة، التي يعقدها المرسل مع الآخر لصالح السّلطان.

المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

1. أبو زيد، نصر حامد. *نقد الخطاب الدّيني* . ط2، دار سينا للنشر.ش18 ضريح سعد،القصر العيني، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1994.
2. أبو زيد ، نصر حامد . *النّص، السّلطة، الحقيقة، الفكر الدّيني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة*. ط1، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1995.
3. أركون، محمد . *الإسلام الأخلاق السّياسة* ،ط1، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء العربي، بيروت 1990.

4. بارت، رولان، *همسهسة اللّغة* ، ترجمة " منذر عيَّاشي ، ج5، الأعمال الكاملة مركز الإنماء الحضاريّ، ط1 1999.
5. بدوي، عبد الرّحمن. *في الأصول اليونانيّة للنّظريات السّياسية في الإسلام* ،مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة 1954.
6. الجابري ، محمّد عابد، *العقل السّياسي العربي محدّداته وتجلّياته* ، المركز الثقافي العربي ،1990.
7. الرّافعي، مصطفى صادق، *إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية* ، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان (د.ت).
8. سليطين، د وفيق. *غواية الاستعادة النّص القديم في أفق القراءة المعاصرة* ، دار الينابيع ط1، 2009.
9. الشّملاني، حيدر الشهابي، *تاريخ الأمير حيدر الشّهابي الشّملاني* ، علّق على حواشيه الدكتور مارون رعد، إشراف نظير عبود، دار نظير عبود ،1997.
10. عبد الرّحمن،عبد الهادي. *سلطة النّص ، قراءات في توظيف النّص الدّيني* ،المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، الحمراء، ط1 1993.
11. القزويني، جلال الدّين أبو عبد الله محمد بن سعد الدّين بن عمر، الخطيب القزوينيّ، *التّلخيص في علوم البلاغة*، دار إحياء العلوم . بيروت ، ط4، ج1، دت.
12. قطب ، سيّد، *هذا الدّين* ، منشورات الاتّحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، إنديانا أميركا، 1970 م .
13. القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا* ،الجزء الأول، دت.
14. المرادي ، أبو الفضل محمد خليل بن علي، *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر* ، نشر وتوزيع المطبعة الميرية العامرة ببولاق، ط1 ، د.ت